الإسلام اليوم

مجلة دورية تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
- إيسيسكو -
بالعربية والإنجليزية والفرنسية

المدير المسؤول :
الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري

رئيس هيئة التحرير :
عبد القادر الإدريسي

الوعي بتاريخ القدس الشريف

د.محمد عمارة (*)

في التاريخ العربي لمدينة القدس ، هناك حقائق تاريخية صلبة وعنيدة ، تحتاج إلى أن نعيها نحن ، وإلى أن يعيها الآخرون .

فعروبة القدس تضرب في أعماق التاريخ ستين قرناً . فلقد بناها العرب اليبوسيون في الألف الرابع قبل الميلاد . أي أن عمر عروبتها قبل الميلاد هو أربعة آلاف عام (40 قرناً) ، فإذا أضيف إليها عمر عروبتها بعد الميلاد ـ وهو ألفا عام ـ كان عمر عروبتها اليوم قد تجاوز ستين قرناً .

وإذا كانت أرض كنعان ـ وهو الاسم القديم لفلسطين ـ قد رحل إليها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ، فإن هذا الحدث قد وقع في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، أي أن عروبة القدس سابقة في التاريخ على عصر أبي الأنبياء إبراهيم بواحد وعشرين قرناً .

وإذا كان المتدينون بالديانات السماوية الثلاث ، يؤمنون بأن اللّه قد بارك في القدس وفيما حولها ، فإنَّ هذه المباركة الإلهية سابقة على رحيل سيدنا إبراهيم إلى هذه الأرض ﴿**ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**﴾ (الأنبياء : 71) . فهي أرض مباركة قبل لجوء أبي الأنبياء إليها . وهذه المباركة الإلهية لهذه الأرض قد جعلها اللّه للعالمين ، وليس لفريق دون فريق .

وإذا كان كليم اللّه موسى ـ عليه السلام ـ هو الذي بدأت به اليهودية ونزلت عليه التوراة بشريعتها ، فإن موسى ـ كما يؤمن الجميع ويشهد التاريخ ـ قد كان قبل القرن الثالث عشر للميلاد ، أي بعد بناء اليبوسيين العرب لمدينة القدس بسبعة وعشرين قرناً . كما أنه عليه السلام قد ولد ونشأ وتعلم وتربَّى وبُعث ونزلت عليه التوراة ، ثم مات ودفن بمصر . حتى أن توراة موسى قد نزلت باللغة الهيروغليفية ـ لغته ولغة فرعون ـ الذي أرسل إليه موسى ـ ولغة القوم الذين بعث فيهم ﴿**وما أرسلنا من رسول إلاَّ بلسان قومه ليبيّن لهم**﴾ (إبراهيم : 4) . ولم تكن اللغة العبرية يومئذ ـ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ـ قد ظهرت بعد ، لأنها في

(*) عضو مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف ، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة .

الأصل (لهجة) كنعانية أصبحت (لغة) ، بعد غزو العبرانيين لأرض كنعان بقيادة يوشع بن نون ؛ أي بعد ظهور اليهودية ونزول التوراة الهيروغليفية ووفاة موسى عليه السلام بأكثر من مائة عام .

وإذا كان العبرانيون القدماء ــ الذين خرجوا من مصر ــ قد غزوا أرض كنعان (فلسطين) بقيادة يوشع بن نون ، واستعمروا أجزاء من هذه الأرض العربية ، فإن وجودهم بمدينة القدس وسلطانهم بهذه المدينة العربية ، لا يتعدى 415 عاماً في القرن العاشر قبل الميلاد على عهد داود وسليمان ــ عليهما السلام ــ ، أي أن هذا الوجود العبراني الطارئ والمؤقت في القدس ، إنما حدث بعد ثلاثة آلاف عام ــ ثلاثين قرناً ــ من عروبة القدس . كما أن هذه اللحظة الطارئة التي كان فيها للعبرانيين دولة في القدس ، هي نصف عمر الوجود والدولة العربية في الأندلس ــ الذي دام ثمانية قرون ــ كما أنها لا تقاس بألوان الوجود الذي طرأ ــ بالغزو ــ على كثير من البلاد . فالرومان أقاموا بمصر دولة دام عمرها عشرة قرون . وكذلك صنعوا بكثير من بقاع الشرق ، دون أن يؤسّس لهم ذلك أي حق في أي من تلك البلاد .

ولقد كان طبيعياً عبر هذا التاريخ الطويل والعريق للقدس العربية ، أن تتوالى على أهلها عقائد وديانات ، وأن تقوم على أرضها معابد للوثنية حيناً ، وللتوحيد حيناً آخر . ولقد حدث ذلك في أغلب بلاد الدنيا . فمصر ــ مثلاً ــ عاشت التوحيد الذي بشر به نبي اللّه إدريس ــ عليه السلام ــ منذ عصر آدم عليه السلام . ثم شهدت فترات من الانحراف عن التوحيد إلى الوثنية . ثم جاءها "قمبيز" (529 – 522 ق . م) الفارسي غازياً ، وأقام فيها معابد لديانة الفرس . ثم جاءها الإسكندر الأكبر (356 – 323 ق . م) فقامت فيها معابد للوثنية الإغريقية والرومانية . ومن مصر خرج الفراعنة إلى ما حولها من البلاد ، فأقاموا فيها دولتهم ، وبنوا فيها معابدهم . ومثل ذلك حدث ــ وطرأ ــ على كثير من بلاد الدنيا التي غيرت دياناتها وبدلت آلهتها ومعابدها ، ولم يقل عاقل بتغيير خرائط الواقع ــ ذي الجذور التاريخية التي تضرب في أعماق صفحات التاريخ المكتوب ــ مثل عروبة القدس ، ليحل محل هذا الواقع "المعاصر والتاريخي" في الوقت ذاته ، "طارئ" يعيد لحظة "طارئة ومؤقتة" من لحظات التاريخ ، وإلاّ لجاز أن تقوم للفرس أو للرومان حقوق بمصر ، ولجاز أن تقوم لمصر حقوق في البلاد التي عاش فيها الفراعنة ، وأقاموا بها المعابد والدول . ولجاز للرومان ــ الإيطاليين ــ أن يعودوا للجزائر التي أقام فيها أجدادهم لأكثر من ثلاثة قرون . وإذن لحدثت فوضى رهيبة في (خرائط) الواقع الذي نعيش فيه .

وعبر هذا التاريخ العربي العريق لمدينة القدس ، تغيّرت أسماؤها عدّة مرات ، فالعرب اليبوسيون ــ الذين بنوها قبل ستين قرناً ــ قد سموها "يبوس" ، ثم تغير اسمها إلى "يور سالم" ، أو "يورو سالم" أي مدينة السلام . ثم أطلق عليها الرومان اسم "إيليا الكبرى" . فلما جاء الفتح

الإسلامي الذي حرّرها من الاستعمار الروماني سنة 15هـ/636م ، أراد العرب المسلمون أن يكون اسم هذه المدينة إعلاناً عن قداستها وعن مباركة اللّه لها منذ تاريخها القديم ، فأطلقوا عليها اسم "**القدس**" ، و"**القدس الشريف**" ، و"**الحرم القدسي الشريف**" .

ولأن وحدة الدين الإلهي من آدم إلى محمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ هي عقيدة من عقائد الإسلام ، الدين الواحد ، وفي إطار عقائده الواحدة والثابتة تتعدّد الشرائع بتعدّد واقع المراحل التاريخية التي ظهر فيها الرسل والأنبياء ، ولأن ختم رسالات السماء إلى البشر برسالة محمد ﷺ ، هو أيضاً عقيدة من عقائد الإيمان الديني الإسلامي ، كان "الربط والرباط" الذي جاء في القرآن الكريم بين الحرم المكي الشريف وبين الحرم القدسي الشريف ، عقيدة دينية إسلامية تجسد وترمز إلى عقيدة وحدة الدين الإلهي . فالحرم المكي ـ الذي هو أول بيت في الأرض عُبِدَ اللّه فيه ـ ﴿**إنَّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم**﴾ (آل عمران : 96-97) . وهو الحرم والبيت الذي أقام قواعده وأعاد بناءه وطهره أبو الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾ (البقرة : 127) . ولأن أبا الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ الذي أقام قواعد البيت الحرام في رحلته الحجازية ، قد كانت له رحلة أخرى ضمن رحلاته إلى أرض كنعان حيث القدس العربية التي غدت قبلةً للنبوات السابقة على نبوة الإسلام الخاتمة ؛ بل والتي صلى إليها المسلمون ـ مع الكعبة ـ ثلاثة عشر عاماً في العهد المكي للدعوة الإسلامية ، وثمانية عشر شهراً بعد الهجرة من مكة إلى المدينة (حتى 17 شوال سنة 3 هـ) ، لأن أبا الأنبياء إبراهيم قد أقام هذه العلاقة بين أول بيت وضع للناس في الأرض ـ الحرم المكي الشريف ـ وبين القدس ـ قبلة النبوات التي تلت نبوة إبراهيم ، ولأن نبوة نبي الإسلام محمد ﷺ هي التي جددت ملة إبراهيم ﴿**قل صدق اللّه فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً**﴾ (آل عمران : 95) ، ﴿**ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً**﴾ (النساء : 125) ، ﴿**قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً**﴾ (الأنعام : 161) . بل وهي النبوة التي أحيت وجددت مناسك ملة إبراهيم في الحج ، تلك المناسك التي أقامها في رحلته الحجازية .

لكلّ هذه الروابط العقدية والإيمانية ، كان الرباط القرآني بين الحرم المكي الشريف وبين الحرم القدسي الشريف ، عقيدة من عقائد الإسلام في وحدة الدين ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾ (الإسراء : 1) .

وإذا كان القرآن الكريم هو معجزة النبوة الخاتمة التي وقع وقام بها التحدي ، وثبت بها صدق محمد ﷺ ، وإذا كان الإيمان الإسلامي يقرّ بوقوع معجزات مادية لرسول الإسلام ، فلحكمة بالغة أن القرآن الكريم لم يذكر من المعجزات المادية للنبي ﷺ سوى معجزة الإسراء والمعراج التي مثلت الرباط العقدي بين الحرم المكي الشريف وبين الحرم القدسي الشريف كتجسيد لعقيدة وحدة دين اللَّه الواحد ، والربط بين قبلة النبوة الخاتمة وقبلة النبوات التي سبقت نبوة الإسلام .

ولأنَّ هذه هي المكانة الدينية والإيمانية للقدس الشريف في العقيدة الإسلامية ، كان التميُّز والامتياز في موقف المسلمين من هذه المدينة المقدسة منذ اللحظة الأولى لتاريخها الإسلامي . فهي مدينة عربية قديمة استعمرها الرومان عشرة قرون منذ الإسكندر الأكبر (356–323 ق . م .) ــ في القرن الرابع قبل الميلاد ، وحتى هرقل (610–641م) في القرن السابع للميلاد . ولقد احتكرها الرومان لأنفسهم وحدهم ، سواء في عصر وثنيتهم ، أو في عصر نصرانيتهم ومذهبهم المَلَكاني ، ودمروا الوجودَ اليهوديَّ فيها . فلما حررها المسلمون ــ ضمن تحريرهم لأوطان الشرق ولعقائد أهله ــ أعادوا لها قدسيتها الدينية ، وأشاعوا هذه القدسية بين كل أصحاب المقدسات ، وذلك أيضاً انطلاقاً من عقيدة دينية إسلامية يتفرد بها الإسلام والمسلمون ، وهي الاعتراف بكل النبوات والرسالات ، ومن ثم تقديس كل مقدسات أتباع كل النبوات والرسالات ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**﴾ (البقرة : 285) .

ولقد تجسدت هذه العقيدة الإسلامية ــ عقيدة "قداسة القدس" و"إشاعة قداستها" ، بين جميع أتباع الديانات السماوية وأصحاب المقدسات الدينية ــ تجسدت هذه العقيدة الإسلامية وتجلت في تعامل المسلمين مع هذه المدينة منذ اللحظات الأولى لتاريخها الإسلامي ، وطوال هذا التاريخ .

فهم الذين سموها "**القدس**" ، و"**القدس الشريف**" ، و"**الحرم القدسي الشريف**" ، ليكون الاسم عنواناً على عقيدة المسلمين في قدسيتها وتقديسها .

وهم وحدهم الذين عاملوها معاملة الإسلام "للحرم" الذي يحرم فيه القتال وسفك الدماء ، فكانت مثل مكة التي حرص المسلمون على فتحها سنة 8هـ/629م سلماً رغم تاريخ أهلها الذين عذبوا المسلمين وفتنوهم في دينهم وأخرجوهم من ديارهم ومردوا على غزو المدينة ومحاولات استئصال المسلمين فيها . والمدينة ــ الحرم الإسلامي الثاني ــ فتحها المسلمون بالقرآن ، وكذلك عامل الفاتحون المسلمون القدسَ ــ ثالث الحرمين ــ معاملة الحرم ، فحرصوا على مصالحة أهلها وتجنب القتال فيها . بل لقد تَفَرَّدَ موقفهم منها أيضاً ، عندما استجابوا لمطلب

أهلها بقيادة البطريرك "صفرينيوس" (17هـ/636م) ــ الذي طلب أن يتسلم مفاتيح المدينة خليفة المسلمين ــ الراشد الثاني ــ عمر بن الخطاب (40 ق. هـ ــ 23هـ/584 - 644م) ــ رغم أن قائد جيوش الفتح الإسلامي بالشام يومئذ ، كان أمين الأمة الإسلامية أبو عبيدة بن الجراح (40 ق. هـ ــ 18 هـ/584 - 639 م) . فسار عمر من المدينة إلى القدس ، ليتسلم مفاتيحها ، وليحقق المسلمون لهذا الحرم القدسي الشريف ، هذه الفرادة التي لم تحظ بها مدينة من المدن التي فتحها المسلمون .

والمسلمون لم يشيعوا قداسة القدس بين كل أصحاب المقدسات فقط ، بل إنهم انطلاقاً من تفردهم بالاعتراف بكل النبوات والإيمان بجميع الرسالات ، قد قدسوا مقدسات الآخرين ، فرسولهم ﷺ قد علمهم ليس فقط "الاعتراف" ، و"الإقرار" بمقدسات الآخرين ، بل وأوجب عليهم "حماية" مقدسات الآخرين . هو الذي كتب للنصارى سنة 10هـ/631م "**وثيقة دستورية**" يقول فيها : «وأن أحمي جانبهم ، وأذبَّ عنهم ، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ، ومواضع الرهبان ، ومواطن السياح ، حيث كانوا ، وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا ، بما أحفظ به نفسي وخاصتي ، وأهل الإسلام من ملتي» .

ولذلك فإن عمر بن الخطاب ، عندما احترم قداسة كنيسة القيامة ، واعتذر للبطريرك "صفرينيوس" عن عدم الصلاة فيها ــ عندما حان وقت الصلاة ــ كي لا يؤسّس لشبهة حق إسلامي في الموضع الذي صلي فيه ، لم يكن يصدر عن مجرد "السماحة المتألقة" التي تُمنح وتُمنع ، وإنما كان يصدر عن عقيدة إيمانية إسلامية إزاء مقدسات الآخرين .

والمسلمون ــ انطلاقاً من هذه المكانة المقدسة للقدس في العقيدة الدينية الإسلامية ــ كانوا هم الحريصين على إعادة الطهر والطهارة إلى كل الأماكن التي سبق وعُبد اللَّه فيها ــ في القدس وفي فلسطين ــ فلقد تجول عمر بن الخطاب في ربوع القدس ، فوجد الرومان ــ الذين دمروا معابد الآخرين ــ قد جعلوا من أماكن العبادة هذه "مقالب" للنفايات والقاذورات ! . . فكان أمير المؤمنين عمر ــ ومعه صحابة رسول اللَّه ــ يفرشون أرديتهم ، ويحملون عليها هذه النفايات ، كي يعيدوا الطهر والطهارة إلى الأماكن التي سبق وعُبد اللَّه فيها في هذه المدينة وتلك البلاد .

والمسلمون هم الذين أعادوا اليهود إلى سكنى القدس ــ بعد أن كانوا مطرودين منها ــ وعلى الرغم من أن نصارى هذه المدينة قد طلبوا من عمر بن الخطاب ألا يسكن معهم فيها (أحد من اليهود أو اللصوص) . لكن العقيدة الدينية الإسلامية في إشاعة قداسة القدس بين كل أصحاب هذه المقدسات ، كانت فوق "المطالب" التي أملتها "المنافسات ، والمثارات" بين أتباع الشرائع والديانات .

ولأن المسلمين هم الذين يعترفون بكل ألوان الآخر الديني ـ ويتفردون بذلك ـ فلقد رأت الطوائف النصرانية المقدسية المتنافسة على الأماكن النصرانية المقدسة ، رأت في المسلمين "**الحكم ـ المحايد ـ والعدل**" بين هذه الطوائف ، فنصت كثير من (حجج أوقاف) كنائس القدس ، وحفظ مفاتيح هذه الكنائس ، على أن يكون نُظّار هذه الأوقاف وحاملو هذه المفاتيح أُسراً مسلمة ، يتوارث أبناؤها نظارة الأوقاف الكنسية وحمل مفاتيح الكنائس ، وذلك تلافياً للمنافسات والمشاحنات التي اتسمت بها علاقات هذه الطوائف تاريخياً ، وحتى هذه اللحظات ، كما هو الحال مع "دير السلطان .

ولأن هذه المكانة الدينية للقدس هي (عقيدة دينية إسلامية) ، وليست مجرد "سماحة" يمنحها حاكم ويمنعها آخر . فلقد استمرت هذه المكانة وهذه المعاملة للقدس الشريف عبر تاريخ الإسلام .

لقد ظلّ المسلمون يشيعون قداستها بين جميع أصحاب المقدسات ، بينما أعاد الصليبيون احتكارها لمذهبهم اللاتيني ، وحولوا المسجد الأقصى إلى اصطبل خيل ، ومخزن سلاح ، وكنيس لاتيني . وظلّ المسلمون يعاملون القدس معاملة الحرم الذي لا يجوز القتال فيه ولا سفك الدماء على أرضه ، فحررها صلاح الدين الأيوبي (532-589هـ/1137-1193م) من الاغتصاب الصليبي سنة 563هـ/1187م بعد قرابة التسعين عاماً من الاغتصاب . وكما دخل رسول اللّه ﷺ الحرم المكي يوم الفتح سنة 8هـ/629م ساجداً لله على راحلته في منظر فريد غير مسبوق ، كذلك سجد صلاح الدين الأيوبي على تراب باب القدس ساعة تحريرها ـ سلماً وصلحاً ـ من الاغتصاب الصليبي . وكما لم يجاز رسول اللّه ﷺ أهل مكة عنفاً بعنف ـ لأن مكة حرم ـ كذلك كظم صلاح الدين الأيوبي غيظه ، فلم يصنع بالقدس ما صنع الصليبيون عندما احتلوها سنة 493هـ/1099م فقتلوا وحرقوا وذبحوا سبعين ألفاً من أهلها مسلمين ويهوداً ، ولم يرحموا حتى الذين احتموا بمسجد عمر ـ مسجد قبة الصخرة ـ فذبحوهم بالمسجد ، حتى تحولت دماء الضحايا إلى أمواج سبحت فيها خيول فرسان الإقطاع الصليبيين إلى لُجُم[1] الخيل ، كما حكى شهود العيان من نصارى المؤرخين .

لم يصنع صلاح الدين شيئاً من ذلك الذي صنعه الصليبيون ـ ومن قبلهم الرومان ـ انطلاقاً من عقيدته الإسلامية في القدس ، وضميره الديني إزاء هذا الحرم المقدس .

وهذا الذي صنعه الصليبيون ، ومن قبلهم الرومان ، صنعه المستعمرون الإنجليز سنة 1917م عندما اقتحم الجنرال اللنبي (1861 - 1936م) مدينة القدس ، معتبراً غزوته هذه نهاية الحروب الصليبية .

(1) جمع لجام .

وهو الذي صنعته الصهيونية سنة 1967م ، عندما اقتحمت القدس لتهودها وتحتكرها ، ولتعيد ــ على أرض القدس ــ هذا "الفصل الدامي والبائس" من احتكار هذه المدينة المقدسة ، ومن تدنيس وتدمير المقدسات غير اليهودية ، ومن تدمير الوجود العربي في القدس ، ذلك الوجود الذي يضرب في عمق التاريخ لأكثر من ستين قرناً ، أي السابق على وجود اليهودية واليهود بأكثر من سبعة وأربعين قرناً .

وليثبتوا ــ دون أن يقصدوا ــ تَفَرُّد الموقف الإسلامي من هذه المدينة المقدسة ، عندما عاملها ــ عبر تاريخ الإسلام فيها ــ معاملة الحرم المقدس ، الذي لا يجوز فيه القتال ولا سفك الدماء ، والذي تجب إشاعة قدسيته بين جميع أصحاب المقدسات . أي أن إسلامية القدس والسلطة العربية الإسلامية فيها ، هي الضمان لبقائها حرماً آمناً للجميع ، وميراثاً مقدساً لكل أصحاب المقدسات . هكذا كانت عروبة القدس ، حقيقة صلبة وعنيدة ضاربة في عمق أعماق التاريخ . وهكذا كانت إسلامية القدس ــ بشهادة التاريخ وبحكم العقيدة الدينية الإسلامية ــ الضمان لجعلها ميراثاً مقدساً لكل أصحاب المقدسات . وعن هذه الحقيقة عبر صلاح الدين الأيوبي ، في رسالته إلى الملك الصليبي "ريتشارد قلب الأسد" (1157–1199م) عندما قال له :

«القدس إرثنا كما هي إرثكم . . من القدس عرج نبينا إلى السماء . . وفي القدس تجتمع الملائكة . . لا تفكر بأنه يمكن لنا أن نتخلى عنها كأمة مسلمة .

أما بالنسبة إلى الأرض ، فإن احتلالكم فيها كان شيئاً عرضياً ، وحدث لأن المسلمين الذين عاشوا في البلاد حينها كانوا ضعفاء . .

ولن يمكنكم اللَّه أن تشيدوا حجراً واحداً في هذه الأرض طالما استمر الجهاد» .

إنها مدينة عربية إسلامية عريقة ، شهد تاريخها من الفصول والصفحات ما جعلها "رمز الصراع" بين الحق والباطل ، و(بوابة الانتصار) في هذا الصراع التاريخي الطويل .

وصدق رسول اللَّه ﷺ حيث قال : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضيرهم من خالفهم ، إلاَّ ما أصابهم من لَأْوَاء (شدة ومحنة) ، حتى يأتيهم أمر اللَّه وهم كذلك» .

قالوا : يا رسول اللَّه ، وأين هم ؟ .

قال : «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس» (رواه الإمام أحمد) .

وإذا كانت "لغة الأرقام" هي "اللغة العالمية" ، وإذا كانت حقائق الأرقام لا تعرف (المجازات) ، ولا (التأويلات) ، فإن حقائق لغة الأرقام هذه تقول : إنَّ ما نواجهه على أرض القدس وفلسطين هو آخر وأعلى مراحل (الاستعمار الاستيطاني) المزروع قسراً في قلب وطن العروبة وعالم الإسلام .

لقد بدأت الدعوة الإمبريالية إلى هذا الاستعمار الاستطياني ، على لسان نابليون بونابرت (1769–1821م) إبان حملته الاستعمارية على مصر والشرق ، وذلك عندما أصدر نداءه ــ من حول أسوار عكا (1799م) في الذكرى السبعمائة لاحتلال الصليبيين للقدس سنة 1099م ــ أصدر نداءه إلى الأقليات اليهودية كي تتحالف مع مشروعه الإمبراطوري الاستعماري في نظير "زرعها" في أرض فلسطين .

ثم حمل الاستعمار الإنجليزي راية القيادة لهذا الاستعمار الاستيطاني ــ بعد هزيمة بونابرت ــ وفي مواجهة مشروع مصر محمد علي باشا (1184-1265هـ/1770-1849م) لتجديد شباب الشرق وتوحيده ــ بعد شيخوخة الدولة العثمانية ــ فكتب وزير الخارجية الإنجليزي "بالمر ستون" (1784-1865م) إلى سفيره في الآستانة (استانبول) في 1840/8/11م ، طالباً منه إقناع السلطان العثماني بالسماح بزرع اليهود في فلسطين ، ليكونوا حجر عثرة أمام طموحات محمد علي باشا ومن يخلفه .

وبعد أن رفض محمد علي باشا سنة 1839م تأجير عدد من القرى الفلسطينية للمليونير اليهودي الإنجليزي "حاييم مونتفيوري" (1784–1885م) ــ لتكون باكورة الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين ــ ، تم تنفيذ هذا المشروع الاستيطاني سنة 1845م بعد تحالف أوروبا الاستعمارية ضد محمد علي باشا وإخراج الجيش المصري من فلسطين والشام ، بمقتضى معاهدتَيْ لندن سنة 1840م وسنة 1841م .

ثم تكونت الحركة الصهيونية الحديثة في المؤتمر الصهيوني الأول بسويسرا سنة 1897م وبدأت الوكالة اليهودية تقود النشاط الاستيطاني على أرض فلسطين .

ثم جاء وعد بلفور في 1917/11/2م واحتلال إنجلترا لفلسطين في ذات العام ليقوم الانتداب البريطاني بتسريع وتيرة الاستيطان اليهودي في فلسطين .

ومع كل هذا النشاط الاستعماري والصهيوني لزرع الاستعمار الاستيطاني اليهودي في أرض فلسطين ، فإن حقائق الأرقام تقول لنا ــ وللعالم ــ إن التاريخ العثماني لفلسطين قد حافظ على عروبة سكانها وعلى عروبة أرضها ، فالوجود اليهودي في فلسطين سنة 1918 لم يتعدَّ 55.000 نسمة ، أي 8 % من السكان ، ولم تتعدَّ ملكيتهم في الأرض نصف مليون دونم ـ أي 2 % من أرض فلسطين .

وفي سنة 1948م أي بعد ثلث قرن من محاولات الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية توسيع الاستيطان اليهودي ، فإن الوجود اليهودي لم يتجاوز 646.000 نسمة ، أي 21 % من سكان فلسطين . كما لم تتجاوز ملكيتهم في الأرض 1.800.000 دونم ، أي 6 % من أرض فلسطين .

لكن قرار التقسيم الذي فرضته القوى الاستعمارية المتحالفة مع الصهيونية في نوفمبر سنة 1947م ، قد فرض تعميم الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين ، وذلك عندما وأعطى هذا القرار للذين يملكون من أرض فلسطين 6, % ، أعطاهم 54 % من أرض فلسطين ، وأعطى لمن يملكون 92,2 % من الأرض 45 % من هذه الأرض .

ثم تكفلت التطورات اللاحقة والحروب المتوالية ، بابتلاع الاستعمار الاستيطاني للأغلبية الساحقة من أرض فلسطين .

لقد دمرت إسرائيل سنة 1948م ، 538 قرية فلسطينية ، واستولت على أراضيها .

كما استولت على أراضي الأوقاف الخيرية الفلسطينية ، وعلى أراضي الأملاك الأميرية (أملاك الدولة) . وبعد عدوان سنة 1967م ، توحش الاستعمار الاستيطاني ليبتلع كل فلسطين .

ففي غزة ، تم توسيع الشريط الحدودي على الجانب الفلسطيني ــ المنطقة الأمنية العازلة ــ بما مساحته 24 % من مساحة القطاع ، كما تم تدمير 275 دونماً في شهر ديسمبر 2007م .

وفي الضفة الغربية ، تم تقسيمها إلى أربعة أقسام :

1 . القدس ، 2 . غرب الضفة ، 3 . غور الأردن ، 4 . جنوب الخليل ، وذلك لتقطيع أوصالها بالمستوطنات .

وأقيم الجدار العنصري العازل ، الحامي للاستيطان ، والمبتلع للأراضي الفلسطينية ، والذي بني منه 450 كيلومتراً ، ولم يبق منه سوى 80 كيلو متراً ، على الرغم من قرار محكمة العدل الدولية بعدم مشروعيته ، وتمثيله جريمة حرب تغير طبيعة الأرض المحتلة .

كما تم على أرض الضفة ، تجريف 80.712 دونماً أثناء الانتفاضة الثانية من 2000/2/8م وحتى 2006/1/21م .

وتمَّ الاستيلاء على 85 % من مياه الضفة ، بحيث أصبح للفلسطيني 60 لتراً ، وللمستوطن اليهودي 280 لتراً .

وفي سنة 2007م تمَّ اقتلاع وتجريف وحرق 24.650 شجرة في الأراضي الفلسطينية .

أما القدس التي بناها العرب اليبوسيون قبل ستين قرناً ، فلقد ابتلعها الاستيطان ، وأوشك تهويدها واحتكارها وتهديد مقدساتها الإسلامية على التمام .

وفي 2004/2/14م ، أعطى الرئيس الأمريكي بوش لشارون "رسالة الضمانات" التي تعهدت فيها أمريكا ببقاء الوقائع على الأرض ، في المفاوضات النهائية للتسوية ؛ أي بقاء الاستعمار الاستيطاني الذي ابتلع القدس وفلسطين .

تلك هي حقائق التاريخ ــ القديم والحديث والمعاصر ــ للقدس الشريف ، ولفلسطين .

وإذا كان الوعي بالتاريخ ــ وليس مجرد قراءته ــ هو سلاح من أمضى الأسلحة في صناعة التاريخ ، فإن الوعي بمكانة القدس في التاريخ العربي الإسلامي ، وبمكانتها في العقيدة الإسلامية ، هو السلاح المحرك للملكات والطاقات ، والسبيل لإنعاش الذاكرة بالحق السليب ، حتى يأتي اليوم الذي تجتمع فيه للأمة (**الإرادة**) و(**الإدارة**) اللتان تعيدان لها هذا الحقَّ السليب .

ISLAM TODAY

Journal of the Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization -ISESCO-

Edited in the three languages: Arabic, English and French

Issue 27 - 26th year
1432H / 2011

Understanding the History of Al Quds Al Sharif

Dr Mohamed Amara(*)

There are some hard facts about the Arab history of Al Quds that are good to know by Arabs and others.

The Arab identity of Al Quds is one that stretches sixty centuries back into in the depths of history. Jebusite Arabs built the city in the 4th millennium BC, which makes its Arab identity at least forty centuries old. If we add to this period the one thousand years which constitute its AD age, Al Quds would have been Arab for more than sixty centuries.

The land of Canaan, as Palestine was called in olden times, was the destination of Abraham, patriarch of all prophets (peace be upon) back in the 19th century BC. Placed in this context, the Arab identity of Al Quds precedes by 21 centuries the time of Prophet Abraham.

Followers of the three divine religions believe in the divine benediction of Al Quds and its surrounding lands, a blessing that precedes even Abraham's journey "***But We delivered him and (his nephew) Lut (and directed them) to the land which We have blessed for the nations***" (*Al Anbiya*, 71). This was a blessed land even before the father of all prophets sought refuge in it, a blessing conferred on all, not on one community to the exclusion of another.

Although Moses (peace be upon him) was the first Hebraic prophet and received his revelations in the form of the Torah (as everyone believes and as history stands witness), he lived in the 13th century BC, i.e. twenty-seven centuries after Jebusite Arabs had built Jerusalem. He was born in Egypt and there he was raised and educated, received the Torah and his prophecy, then died and was buried in Egypt. Even the Torah was revealed in Hieroglyphics - his and language of the Pharaoh to whom he was sent- and the language of the people among whom

(*) Member of the Islamic Research Academy at Al Azhar University and member of the Supreme Council for Islamic Affairs in Cairo.

he lived: "***We sent not an apostle except (to teach) in the language of his (own) people, in order to make (things) clear to them.***" (Ibrahim, 4). At that time, 13th century BC, Arabic had not yet appeared. It emerged first as a dialect and became a language after the Canaanite Hebrews invaded Canaan under Joshua Bin Noon more than a hundred years after Judaism was revealed and the death of Moses, peace be upon him.

Although ancient Hebrews -those who migrated from Egypt- did conquer Canaan, led by Joshua Bin Noon, and occupied parts of this Arab territory, their presence in and control of Jerusalem did not last more than 415 years under the reign of David and Solomon, peace be upon them. This incidental and short-lived Hebraic existence in Al Quds occurred then three thousand years after the Arab identity of this city was established. This fleeting historical episode of the existence of a Hebrew State in Jerusalem, lasted less than half the eight centuries Arabs ruled over Andalusia, nor can it be measured against the various occupations and invasions that occurred in many parts of the world. The Romans ruled over Egypt for ten centuries and did the same in many other parts of the Levant, without this giving them rights over any of these countries.

It was expected that throughout this long and prestigious history of Arab Jerusalem its inhabitants would experience various faiths and religions. Temples be erected there for paganism at times and for monotheism at others, a situation that was not foreign to other parts of the world. Egypt, for example, experienced the monotheism brought by Prophet Enoch (Idriss) since the times of Adam (peace be upon them), then witnessed phases of deviation from monotheism and paganism. After its invasion by Cambyses (529-522 BC), temples were erected for his Persian creed. Then along came Alexander the Great (329-323 BC) and erected temples to Greek and Roman deities. From Egypt, Pharaohs expanded into neighboring countries which they ruled and where they built their temples. Similar events occurred in many other parts of the world leading to conversions and changes of religions, gods and places of worship. Yet, no rational person demanded that modifications be brought to the maps of history and reality - with deeply rooted historical origins such as the Arab identity of Al Quds, to replace the modern yet historical reality and revisit a fleeting moment in history. Were this to become possible, Romans and Persians would have rights of sovereignty over Egypt, and the latter would claim the lands ruled by Pharaohs where they edified temples and states. Similarly, the Romans (Italians) would come back to Algeria where their ancestors lived for more than three centuries, and terrible chaos would ensue, wreaking havoc with the maps of our current reality.

Throughout this prestigious Arab history of Al Quds, the name of the city changed several times. The Jebusites who founded it sixty centuries ago called it Yebus, and then this name became Yoroshalem, Urosalem, or the city of peace while under Roman rule, it was called Aelia Capitolina. When Islamic conquests freed it from Roman occupation in 15 AH (636 AD), Muslims wanted the city to have a name that would proclaim its holiness and Allah's benediction of it from ancient times. They named it 'Al Quds', 'Al Quds Al Sharif' and Al Haram Al Qudsi Al Sharif (Holy Precincts of Al Quds).

The unity of all divine faiths, from Adam to Mohamed (peace be upon them) is one of the mainstays of Islam, the one and true religion. Doctrines may vary in accordance with the diversity of the historical phases at which prophets and messengers were sent, but all evolve within the framework of this deeply-seated principle of monotheism.

And because sealing all divine religions revealed to humanity with the message of Mohamed (PBUH) is also one of the fundaments of the Islamic faith, the correlation between the holy sacred precinct of Mecca and that of Al Quds, as described in the Holy Quran, was an element of Islamic faith symbolizing and embodying the unity of all divine faiths. The Meccan precinct was humanity's first place of worship dedicated to the adoration of Allah: "***The first House (of worship) appointed for men was that at Bakka: Full of blessing and of guidance for all kinds of beings: In it are Signs Manifest; (for example), the Station of Abraham;***" (*Al Imrane*, 96-97). This was the holy place and house erected, rebuilt and cleansed by Abraham, Patriarch of all prophets, and his son Ismail (peace be upon them), "***And remember Abraham and Ismail raised the foundations of the House (with this prayer): "Our Lord! Accept (this service) from us: for Thou art the All-Hearing, the All-Knowing.***" (*Al-Baqara*, verse 127). Abraham who laid down the foundations of the Holy Place on his journey to the Hejaz, undertook another journey to Canaan where Arab Al Quds was located and which was the *qibla* of the prophecies which preceded Islam, the message of all messages. It is in the direction of Al Quds that Muslims prayed, along with the Kaaba, for thirteen years (Meccan time) into Islamic *daa'wa*, and for eighteen months after the Hijra to Medina (until 17 Shawwal, 3 AH). Abraham, ancestor of all prophets, established this connection between the first house ever dedicated to worship on earth - the holy sanctum in Mecca- and Al Quds Al Sharif, the *qibla* of all prophecies that followed Abraham's, and the message of Prophet Mohamed (PBUH) gave a new lease of life to Abraham's call: "*Say: "**(Allah) speaketh the Truth: follow the religion of Abraham, the sane in faith; he was not of the Pagans***" (*Al Imrane*,

verse 95), "***Who can be better in religion than one who submits his whole self to Allah, does good, and follows the way of Abraham the true in Faith? For Allah did take Abraham for a friend.***" (*Annissaa*, 125), and "***Say: "Verily, my Lord hath guided me to a way that is straight,- a religion of right,- the path (trod) by Abraham the true in Faith***" (*Al Anaam*, 161). It was the message that revived and renewed Abraham's rites of pilgrimage that he performed during his journey to Hejaz.

However, of these spiritual and religious bonds, the Quranic connection created between the Meccan sacred site and the holy precinct of Al Quds Al Sharif constituted one of Islam's precepts in the unity of religion: "***(Glory to ((Allah)) Who did take His servant for a Journey by night from the Sacred Mosque to the farthest Mosque, whose precincts We did bless,- in order that We might show him some of Our Signs: for He is the One Who heareth and seeth (all things)***" (*Al Israa*, 1).

The Holy Quran was the miracle of the final prophecy that created and carried the challenge and that proved the veracity of Mohamed's words (PBUH), and although the Islamic faith admits that physical miracles did occur for Prophet Mohamed, it is out of immense wisdom that the only material miracles of Prophet Mohamed (PBUH) mentioned in the Holy Quran were the nightly journey and the ascension both of which consecrate the spiritual connection between the Meccan holy site and Al Quds Al Sharif, as a symbol of the oneness of faith and the consecration of a bond between the *qibla* of the seal of messages and that of all the prophecies that preceded Islam.

As a result of this lofty religious and spiritual position of Al Quds Al Sharif in the Islamic faith, Muslims revered this holy city and conferred on it a special status from the early stirrings of its Islamic history. It was an ancient Arab city that survived 10 centuries of Roman occupation centuries stretching from the times of Alexander the Great (356-323 BC) to those of Heracles (610-641 AD). Romans held total sway over the city whether during their pagan, Christian or Malakni eras and annihilated all Jewish presence there. When Muslims liberated it as part of their campaign to free all the Levant's countries and populations, they restored the city's sanctity and extended this sanctity to the diverse religious groups existing there. Such approach was based on a principle that is unique to the Islamic faith and to Muslims, namely recognition of all messages and all prophets and subsequently considering as sacred all the sanctities of these religions': "***The Messenger believeth in what hath been revealed to him from his Lord, as do the men of faith. Each one (of them) believeth in Allah, His angels, His books, and His apostles.***" (*Al Baqara*, verse 285).

This Islamic principle -believing in the sanctity of Al Quds and spreading this sanctity among the followers of all divine faiths with revered religious sanctities-, became manifest in the way Muslims treated this city from the early stirrings of its Islamic history.

Muslims created the names 'Al Quds', 'Al Quds Al Sharif' and 'Al Haram Al Qudsi Al Sharif', which names reflect the Muslims' profound belief in the sanctity and sacredness of this city.

Muslims were the ones to confer on it the status of a sanctum where fighting and bloodshed were forbidden. It was held in the same status as Mecca which was peacefully conquered in AH/629AD despite its inhabitants' past of torturing Muslims, seeking by all means to turn them against Islam, expelling them from their homes and attacking Medina in their attempt to evict Muslims from this city, the second holy site of Islam conquered with the Quran. Muslim conquerors treated Al Quds, the third holy place, as they did Mecca. They sought reconciliation with its inhabitants and banned fighting there. Their position vis-à-vis Al Quds stood out even more when they acquiesced to the request of its inhabitants and of Patriarch Sophronius (17AH/636AD) that the keys to the city be handed over to the second rightly guided caliph and not to the commander of the Muslim armies, Abu Ubaida Al Jarrah (40 AH-18AH/584-639AD). Omar marched to Al Quds to take possession of the keys, thus conferring on it the position and status that no other city conquered by Muslims could ever have.

Muslims not only consecrated the holiness of Al Quds among the followers of other faiths out of their unique recognition of all prophets and divine messages, they also respected and venerated the sanctities of other peoples. Their prophet (PBUH) taught them to not only recognize the sanctities of other people but commanded them to protect these sanctities. In 10AH/631AD, he wrote a constitutional document about the Christians where he pledged: "*To protect their side, defend them, their churches, places of worship and monasteries, their places of pilgrimage wherever these may be, and to defend their faith everywhere in the same way I defend myself, my property and the followers of my own faith*".

Thus, when Omar showed respect for the Church of the Resurrection and excused himself from Patriarch Sophronius so as not to pray inside it when the call for prayer resonated (so as not to establish an Islamic right over the place) his was not an act of exceptional magnanimity that could be displayed or withheld at will, but arose instead from a deep Islamic conviction of the sacredness of others.

With a strong belief in the holiness of Al Quds, Muslims endeavored to restore dignity and purity to all the places where Allah was worshipped before in this city and in Palestine. Omar walked around in Al Quds only to find out that the Romans had destroyed all places of worship of other faiths and turned some of them into waste dumps. The Commander of the Faithful, Omar Ibn Al Khattab, and his companions used their cloaks to remove the rubbish and cleanse all the places where Allah was worshipped at a given time in the city and this land.

Muslims were the ones to allow Jews back into the city after they were banished from it. And although the Christians pleaded with Omar Ibn Al Khattab to allow 'no Jew and thief' to share the city with them, the Islamic faith, founded on respecting the sanctity of Al Quds and extending this sanctity to the followers of all divine religions, transcended such demands dictated by religious jealousy and competition.

Since Muslims recognize all faiths, and are unique in this particularity, the various Christian denominations existing in Al Quds and competing for control over the holy places in the city recognized in Muslims the unbiased and just ruler in dealing with these various groups. Many of the endowment deeds for Jerusalem churches ensured that the waqfs administrators and key custodians would be Muslim families whose successive generations inherited the administration of these churches and the custody of the keys. This helped avoid the conflicts and strife which have marked ties between these religious groups throughout history and to date. This, for example, is the case of the Dir Sultan monastery.

And because this special religious status is a principle of the Islamic faith and not just a form of 'tolerance' conferred by a ruler and withheld by another, the status of the city and the way Al Quds Al Sharif was treated has persisted throughout the history of Islam.

Muslims continued to promote the sacredness of Al Quds while the Crusaders monopolized it for their Latin creed and converted the Aqsa Mosque into a stable, a weapons arsenal and then a church. Muslims continued to treat Al Quds as a sanctum where blood could be drawn. Then it was liberated by Salah Eddine El Ayyoubi (532-589 AD) from the clutches of the Crusaders in 563AH/1187AD after almost ninety years of occupation. And just like Prophet Mohamed (PBUH) entered Mecca in 8AH/629 AD, dismounting from his camel and prostrating in an unprecedented scene, Salah Eddine El Ayyoubi also fell to his knees on the soil of Al Quds the day he freed it -in peace and after reconciliation- from the Crusading violation. And just as the Prophet (PBUH) did not take revenge from

the Meccans on their actions because Mecca is a holy precinct, so did Salah Eddine El Ayyoubi rein in his anger. He refrained from acting as the Crusaders had done when they invaded the city in 493Ah/1099 AD, killing, ransacking and slaughtering seventy thousand Muslims and Jews. They did not even spare those who had sought refuge in the Mosque of Omar - the Dome of the Rock Mosque - and butchered them inside the mosque, till blood flowed in rivers through which the horses of the Crusaders waded, as Christian eyewitness accounts reported later.

Salah Eddine committed none of the crimes of the Crusaders, and before them the Romans, because his regard for the holy city of Al Quds sprang from his profound religious faith and his conscience.

What the Crusaders and before them the Romans did was again perpetrated by the British in 1917 when General Lenby (1861-1936AD) entered Al Quds in what he perceived as the final chapter of the Crusades.

This same approach was adopted by Zionism in 1967 when it laid claim to Al Quds and replayed on the soil of Al Quds this miserable and bloody chapter in the city's domination, the desecration and destruction of non Jewish holy sites and the annihilation of the Arab presence in Al Quds, a presence that goes sixty centuries back into ancient history and precedes the existence of Judaism and Jews by more than forty-seven centuries.

Without intending to, they have proven the uniqueness of the Islamic stance vis-à-vis this city having treated it throughout the history of Islam as the sanctum where no fighting or blood-shedding could be allowed and whose sacredness should be spread and promoted to all those with religious sanctities. The Islamic identity of Al Quds and the Arab and Islamic authority over it are the guarantees of its continuity as a safe and sacred haven for all, a cherished heritage for all people of faith. Its Arab identity is an undisputable fact reaching back into the depths of time. The Islamic identity of Al Quds became - as witness to this history and fundaments of Islamic faith - the guarantor of its status as common heritage of all people of the faith. In his letter to King Richard Lion Heart (1157-1199AD), Salah Eddine expressed this concept when he wrote: "*Al Quds is as much our heritage as it is yours. From Al Quds our Prophet ascended to the Heavens…in Al Quds angels congregate...think not that we will surrender it as a Muslim nation…As for your occupation of this land, it was incidental and only made possible because of the weakness of the Muslims who lived there at that time …Allah will not allow you to erect one brick in this land as long as jihad continues.*"

Al Quds is an old Arab and Islamic city whose history witnessed enough chapters to make it a symbol of the struggle between good and evil and the gate to triumph in this long and historical conflict.

The Prophet (PBUH) was right to say: "*A group of my Ummah will not cease to fight their enemies. The betrayal or desertion of whoever deserts them will not harm them in the least. They will remain victorious, standing up for the truth, until the Final Hour rises.' They asked: O Messenger, where are these people? He said: 'In Bayt Al Maqdiss and areas surrounding it.*"

If the language of numbers is now the universal language, and since figures do not suffer interpretations or figurative speech, this language says that what we are witnessing in Al Quds and Palestine today represents the last and most advanced form of occupation, forcibly embedded in the heart of Arab territory and the House of Islam.

The imperial call to this occupation was first given by Bonaparte (1769-1821 AD) during his campaign in Egypt and the East, when he invited Jewish minorities, during the siege of Akka (1799 AD) on the 700th anniversary of the fall of Al Quds to the Crusaders in 1099 AD, to join forces with his imperial and colonialist project in return for establishing them in Palestine.

British colonialism then took over this expansionist drive after Bonaparte's failure to counterattack Mohammed Ali Pasha's project (1184-1265AH/1770-1849AD) of unifying the ranks of youth in the East as the Ottoman State became weaker. British Foreign Secretary Palmer Stone (1784-1865AD) wrote to his Ambassador at the Astana on 11/08/1840AD requesting that he try to convince the Ottoman Sultan to allow Jews to settle in Palestine in order to serve as an obstacle to the ambitions of Mohamed Ali Pasha and his successors.

In 1830AD and after Mohamed Ali Pasha refused to rent a number of Palestinian villages to the Jewish British billionaire Haim Montefiore (1784-1885AD) as a prelude to Jewish settlement in Palestine, this settlement scheme was carried out in 1845 after the alliance of colonial Europe against Mohamed Ali Pasha and the expulsion of the Egyptian Army from Palestine and Syria following accordance with the London Conventions of 1840 and 1841 AD.

Then the modern Zionist movement was founded in Switzerland and the Jewish Agency began implementing settlement activities on Palestinian soil.

The Balfour Promise followed on 2/11/1917, then the occupation of Palestine

by England in the same year, allowing the British mandate to quicken the pace of Jewish settlement in Palestine.

Despite all this colonial and Zionist activity to embed Jewish settlements and colonies in Palestine, the figures tell us and the world that the Ottoman history of Palestine preserved the Arab identity of the land and its people. In fact, the Jewish population in Palestine was less than 55 000 in 1918 (8% of the entire population) and their land ownership was half a million donums which represented 2% of the surface area of Palestine.

In 1948 AD, a third of a century after the first schemes of the British Mandate and Zionist Movement to expand Jewish settlement, the Jewish presence had still not gone beyond 646 000 inhabitants (21% f Palestine's entire population) while their land ownership stood at 1 800 000 donums (or 6% of Palestine).

But the repartition imposed by the colonial allies of Zionism in November 1947AD enforced a generalization of Jewish settlement in Palestine as this decision gave settlers who previously owned no more than 6.7% of land 54% of Palestine's surface area and reduced the share of those who previously owned 92% to a mere 45% of the country's surface area.

Subsequent developments and the successive wars ensured that the occupation and settlement movements swallowed the large majority of Palestinian lands.

In 1948, Israel destroyed 538 Palestinian villages and laid claim to their lands.

It also usurped the lands of Palestinian charity *waqfs* and government-owned lands. After 1967, the Israeli occupation and settlement drive became so voracious that they swallowed all of Palestine.

In Gaza, the buffer zone between Palestinian and Israeli zones was expanded to become 24% of the Strip's entire surface area, and in December 2007, 275 donums were destroyed.

With a plot to cut off all ties between the Palestinian areas and the Israeli settlements, the West Bank was divided into four sections:

1- Al Quds,

2- The West Bank

3- Jordanian Ghor

4- South Al Khalil

The dividing wall, a symbol of discrimination, was erected to protect the settlements and devour more Palestinian lands. So far, 450 kilometers of this wall have been completed and only 80 kilometers are left to build despite the International Court's ruling on the illegitimacy of the wall and its consideration as a war crime that alters the nature of occupied territories.

Also on the West Bank, the Israeli forces have bulldozed 80 712 donums during the second Intifada which lasted from 8/2/2005 to 21/1/2006.

85% of the West Bank's water has been diverted leaving the Palestinian citizen with 60 liter while the Israeli settler enjoys 280 liters.

In 2007, 24 650 trees were uprooted, bulldozed or burnt in Palestinian lands.

Al Quds, founded by Arab Jebusites sixty centuries ago, was in turn swallowed by the settlements and is on the verge of being entirely judaized and monopolized, as the total annihilation of Islamic sanctities there seems imminent.

On 14/2/2004, US President Bush gave Sharon a 'letter of guarantee' whereby he pledged America's commitment to preserving the status quo in Palestine at the final settlement negotiations, thus promising to maintain the settlements and occupation drive that have simply swallowed Palestine.

These are the facts of history -past, modern and contemporary- of Al Quds Al Sharif and Palestine.

If historical conscience, and not a reading of history alone, is the best instrument for writing history, then awareness of the status of Al Quds in Arab history and its position within the Islamic faith should serve as the stimulus of our potentialities and talents, and the means to revive the memory of our usurped rights until the day the collective will of the Ummah and its leadership come together to reclaim this lost right.

L'ISLAM AUJOURD'HUI

Revue périodique de l'Organisation islamique pour l'Education, les Sciences et la Culture -ISESCO-

Publiée en trois langues : l'arabe, l'anglais et le français

N° 27 - 26e année

1432H / 2011

La connaissance consciente de l'histoire d'Al-Qods Al-Charif

Dr Mohamed Amara[*]

Il est dans l'histoire arabe de la ville d'Al-Qods (Jérusalem) des réalités solides et obstinées dont nous devons prendre conscience, tout autant que les autres.

En effet, le caractère arabe d'Al-Qods remonte jusqu'à soixante siècles dans l'histoire. Elle a été construite par les Arabes Jébuséens au quatrième millénaire avant Jésus Christ. En d'autres termes, son arabité est vieille de quatre millénaires avant J.-C. (40 siècles). Si l'on ajoutait l'âge de son arabité après J.-C., soit 2000 ans, on obtiendrait un âge qui dépasserait les 60 siècles.

Et si la terre de Canaan - ancien nom de la Palestine - fut le lieu d'émigration du Père des Prophètes Abraham (Paix sur lui) il convient de se rappeler que l'occurrence de cet événement se situe au dix-neuvième siècle avant J.-C. Ainsi, l'arabité d'Al-Qods précède historiquement de vingt-et-un siècles l'ère d'Abraham, Père des Prophètes.

Or, si les adeptes des trois religions révelées croient que Dieu a béni Al-Qods et ses environs, cette bénédiction divine ne pouvait que précéder l'émigration du prophète Ibrahim vers cette terre : ***«Et Nous le sauvâmes, ainsi que Lot, vers une terre que Nous avions bénie pour tout l'univers»*** (Al-Anbiyaâ : 71). Elle a donc été bénie bien avant que le Père des Prophètes n'y trouve refuge. Et cette bénédiction divine fait de cette terre un sol béni pour les deux mondes antérieurement à l'arrivée du Père des Prophètes, et ne concerne donc pas une communauté spécifique mais l'ensemble des communautés.

D'autre part, si le judaïsme commence avec Moïse, l'interlocuteur de Dieu (Paix sur lui) auquel la Torah a été révélé avec la Loi, Moïse a vécu -ainsi que l'admettent tous et comme en témoigne l'histoire (au treizième siècle avant J.-C.) soit vingt-sept siècles après la construction de la ville d'Al-Qods par les Arabes

(*)Membre de l'Académie de la Recherche islamique d'Al-Azhar Al-Charif et membre du Conseil supérieur des Affaires islamiques du Caire.

Jébuséens. Après sa naissance, le Prophète Moïse (Paix sur lui) a grandi et fut éduqué avant d'avoir reçu la révélation et la Torah. Il mourut et fut enterré en Egypte. Même la Torah de Moïse fut révélée en langue hiéroglyphe, sa propre langue et celle du Pharaon -auquel Moïse fut envoyé- ainsi que langue du peuple auprès de qui il fut envoyé : ***«Et Nous n'avons envoyé de Messager qu'avec la langue de son peuple, afin de les éclairer»*** (Ibrahim : 4). Or, la langue hébraïque n'était pas encore apparue à cette époque (au treizième siècle avant J.-C.) car, à l'origine, elle n'était autre qu'un dialecte cananéen transformé en langue après l'invasion des Hébreux de la terre de Canaan sous la conduite de Yusha' ibn Nûn (Josué), soit plus de cent ans après l'apparition du judaïsme, la révélation de la Torah hiéroglyphique et le décès de Moïse (Paix sur lui).

Si les anciens hébreux, qui ont quitté l'Egypte, ont envahi la terre de Canaan (Palestine) sous la conduite de Yusha' ibn Nun et colonisé certaines parties de ce territoire arabe, leur présence à Al-Qods et leur domination de cette ville arabe ne dépasse pas 415 ans au dixième siècle avant J.-C., à l'époque de Dâwûd et de Suleyman (Paix sur eux). En d'autres termes, cette présence hébraïque circonstancielle et temporaire d'Al-Qods n'a eu lieu qu'après trois mille ans -trente siècles- de l'arabité de la ville. D'autant que ce moment circonstanciel durant lequel les hébreux ont établi un Etat à Al-Qods ne représente que la moitié de la durée de la présence arabe en Andalousie -qui avait duré huit siècles. Ce moment ne peut, non plus, être mesuré par le type de présence -par occupation- que bon nombre de pays ont connue. Les Romains ont, par exemple, établi en Egypte un Etat qui a survécu dix siècles, de même qu'ils ont fait l'histoire de maintes provinces en Orient sans qu'ils aient pour autant acquis le droit d'en revendiquer aucune.

Il était normal, tout au long de ce laps de temps historique et authentique de la ville arabe d'Al-Qods, que la population s'empreigne de croyances et de religions successives, que son sol accueille tantôt des temples païens, tantôt des temples monothéistes. Pareille chose est arrivée à la plupart des pays. L'Egypte, par exemple, a connu l'unicité de Dieu prêchée par le Prophète Idriss (Enoch) (Paix sur lui) depuis l'époque d'Adam (Paix sur lui), suivie par des périodes de déviation vers le paganisme. Conquise par le roi perse Cambyse II (529-522 avant J.-C.), celui-ci fit construire des temples païens grecs et romains. C'est aussi de l'Egypte qu'émergèrent les Pharaons pour conquérir les territoires environnants, établir leur Etat et construire leurs temples. Pareils événements étaient typiques de bon nombre de pays qui ont changé leurs religions, en même temps que leurs dieux et leurs temps. Or, nul être doué de raison n'a jamais procédé à la modification de la carte sur le terrain -aux racines historiques telles qu'elles figurent dans les pages de l'histoire écrite. Et comment en serait-il autrement de l'arabité d'Al-Qods ? Peut-on remplacer cette réalité "contemporaine et

historique" par un événement *"circonstanciel"* qui reproduirait un instant *"circonstanciel et temporaire"* des époques de l'Histoire ? S'il en était ainsi, les Perses tout autant que les Romains peuvent revendiquer leurs droits sur l'Egypte, que l'Egypte réclame ses droits sur les pays où les Pharaons ont vécu et construits temples et Etats. Les Romains -Italiens actuels- auront alors le droit de retourner en Algérie où leurs ancêtres y ont vécu plus de trois siècles. L'on assisterait, dès lors, à un gigantesque chaos dans la cartographie du monde où nous vivons.

Au cours de cette histoire immémoriale de la ville arabe d'Al-Qods, le nom de la ville a changé maintes fois. Les Arabes Jébuséens -qui l'ont construite il y a soixante siècles- l'appelèrent Jébus. Ce nom fut modifié ultérieurement pour devenir *"Yurusalem"*, c'est-à-dire la Cité de la Paix. Les Romains l'appelèrent ensuite Aelia Capitolina. Avec la conquête islamique, qui marqua sa libération du colonialisme romain en l'an 15 de l'hégire/636 de l'ère chrétienne, les Arabes musulmans voulaient que la ville porte un nom qui soit annonciateur de son caractère sacré et de la bénédiction que Dieu lui a voué tout au long de l'histoire. C'est ainsi qu'ils la nommèrent *"Al-Qods"*, *"Al-Qods Al-Charif"* et *"Al-Haram al-Qodsi al-Charif"*.

Car l'unicité de la religion divine, depuis Adam et jusqu'à Mohammed (que la Prière et la Paix soient sur eux), est l'un des fondements de l'Islam, religion unique, qui s'inscrit dans le cadre de ses croyances constantes, quelle que soit la diversité des religions, en fonction des phases historiques au cours desquelles sont apparus les Prophètes et les Messagers.

Et tout comme le message de Mohammed (PSL) est le dernier des messages divins adressés à l'humanité constitue également l'un des préceptes de la foi religieuse islamique, il en est de même de la *"corrélation et lien"* qu'en fait le Saint Coran entre le Sanctuaire de la Mecque et le Sanctuaire d'Al-Qods, en ce sens que tous deux forment une croyance religieuse islamique qui incarne et symbolise la croyance en l'unicité de la religion divine. Car le Sanctuaire de la Mecque est la première Maison sur terre où Dieu fut adoré : ***«La première Maison qui a été édifiée pour les gens, c'est bien celle de Bakka (la Mecque) bénie et une bonne direction pour l'univers. Là sont des signes évidents, parmi lesquels l'endroit où Abraham s'est tenu debout»*** (Al-Imran : 96-97). C'est en effet le Sanctuaire et la Maison que le Père des Prophètes, Abraham, et son fils Ismaël (Paix sur eux) ont conçu, édifié et purifié : ***«Et quand Abraham et Ismaël élevaient les assises de la Maison: "O notre Seigneur, accepte ceci de notre part! Car c'est Toi l'Audient, l'Omniscient»*** (Al-Baqara : 127). Mais aussi, parce que le Père des Prophètes Abraham (Paix sur lui) qui a établi les bases du Saint Sanctuaire lors de son voyage au Hedjaz, entreprit un autre voyage, parmi ses

voyages, vers la terre de Canaan où se trouve la ville arabe d'Al-Qods, devenue la direction des différentes prophéties qui ont précédé la prophétie -dernière et finale- de l'Islam. N'est-elle pas, en effet, la ville vers laquelle les musulmans s'étaient dirigés pour prier pendant treize années à l'époque mecquoise de l'Appel islamique, et dix-huit mois après l'émigration de la Mecque vers Médine (jusqu'au 17 Chaoual de l'an 3 de l'hégire). Car le Père des Prophètes, Abraham, a établi cette corrélation entre la première Maison édifiée sur terre pour les gens (le noble Sanctuaire mecquois) et Al-Qods (la direction des prophéties qui ont suivi celle d'Abraham, mais aussi parce que la prophétie du Prophète de l'Islam, Mohammed (PSL), est venue renouveler la religion d'Abraham : ***«Dis: "C'est Allah qui dit la vérité. Suivez donc la religion d'Abraham, Musulman droit»*** (Al-Imran : 95), ***«Qui est meilleur en religion que celui qui soumet à Allah son être, tout en se conformant à la Loi révélée et suivant la religion d'Abraham, homme de droiture?»*** (An-Nisa : 125), et ***«Dis : "Moi, mon Seigneur m'a guidé vers un chemin droit, une religion droite, la religion d'Abraham, le soumis exclusivement à Allah»*** (Al-An'âm : 161). Elle est, à n'en pas douter, la prophétie qui a ressuscité et renouvelé les rites de la religion d'Abraham en matière de pèlerinage, ces mêmes rites cultuels qu'Abraham effectuait pendant son voyage au Hedjaz.

Pour toutes ces corrélations cultuelles et religieuses, le Coran constitue le lien entre le noble Sanctuaire mecquois et celui d'Al-Qods, établissant ainsi l'une des croyances de l'Islam en matière d'unicité religieuse : ***«Gloire et Pureté à Celui qui de nuit, fit voyager Son serviteur [Muhammad], de la Mosquée Al-Haram à la Mosquée Al-Aqsa dont Nous avons béni l'alentour, afin de lui faire voir certaines de Nos merveilles. C'est Lui, vraiment, qui est l'Audient, le Clairvoyant»*** (Al-Isrâ : 1).

Or si, d'une part le Saint Coran constitue le dernier miracle prophétique, source et âme du défi qui confirme l'honnêteté de Mohammed (PSL) et si d'autre part, la foi islamique admet les miracles matériels du Prophète de l'Islam, il est une profonde morale qui veut que le Saint Coran ne cite des miracles matériels du Prophète (PSL) que celui de l'Isrâ (le Voyage nocturne) et du Mi'raj (l'Ascension), lesquels incarnent l'unicité de la religion du Dieu unique, tout en faisant le lien entre le dessein de la Prophétie ultime et le dessein des prophéties qui ont précédé l'Islam.

C'est ce statut religieux que revêt Al-Qods Al-Charif dans la religion islamique qui explique l'attitude distinctive des musulmans vis-à-vis de cette ville sainte dès les premiers instants de son histoire islamique. Cette ancienne ville arabe fut colonisée par les Romains pendant dix siècles depuis Alexandre le

Grand au quatrième siècle avant l'ère chrétienne (356-323 avant J.-C.) jusqu'à Héraclius au VII° siècle (610-641 après J.-C.). Les Romains ont monopolisé la ville tout autant pendant la durée de leur athéisme que pendant leur christianisme, après avoir détruit toute présence juive existante. Après sa libération par les musulmans -dans le cadre de leur libération des nations orientales et des religions de leurs peuples- la ville retrouva son caractère sacré, qui fut annoncé à tous ceux qui étaient concernés par sa sacralisation. Or, cette sacralisation s'inscrit dans le cadre d'une conviction religieuse spécifique à l'Islam et aux musulmans, à savoir, la reconnaissance de toutes les prophéties et messages, d'où le statut sacré accordé à tous les détenteurs des prophéties et messages : ***«Le Messager a cru en ce qu'on a fait descendre vers lui venant de son Seigneur, et aussi les croyants: tous ont cru en Allah, en Ses anges, à Ses livres et en Ses messagers; (en disant): "Nous ne faisons aucune distinction entre Ses messagers"»*** (Al-Baqara : 285).

Cette conviction islamique -le caractère sacré d'Al-Qods et la généralisation de ce caractère parmi tous les adeptes des religions révelées et les légataires d'autres croyances sacrées- a trouvé son incarnation dans le comportement des musulmans vis-à-vis de cette ville tout au long de son histoire islamique, et ce, dès les tout premiers instants.

Car ne sont-ils pas, eux, qui l'ont appelé *"Al-Qods"*, *"Al-Qods Al-Charif"* et *"Le Saint Sanctuaire d'Al-Qods"*, afin que ce nom rejaillisse comme un titre qui exprime la conviction des musulmans à l'égard de son caractère sacré.

Ils sont, en effet, les seuls à l'avoir traité conformément à l'attitude de l'Islam vis-à-vis du Haram (sanctuaire sacré) où guerres et effusion du sang sont prohibées, à l'instar de la Mecque que les musulmans se sont efforcés de conquérir pacifiquement en l'an 8 de l'hégire/629 de l'ère chrétienne, en dépit des violences que sa population fit subir naguère aux musulmans, les expulsant et les dépouillant. Il en était de même de Médine (le deuxième saint sanctuaire de l'Islam) que les musulmans ont conquis avec le Coran. C'est ainsi que les conquérants musulmans ont accordé à Al-Qods (le troisième des deux saints sanctuaires), un traitement digne d'un saint sanctuaire, s'évertuant à se concilier avec ses habitants, tout en évitant les combats en son sein. Plus encore, la relation particulière que les musulmans entretenaient avec Al-Qods est démontrée par la position prise par les habitants de la ville, sous la direction du Patriarche Safrinius (17 de l'hégire/636 de l'ère chrétienne) qui a demandé à ce que les clés de la ville soient remises au deuxième calife des musulmans, Omar ibn al-Khattab (40 avant l'hégire -23 de l'hégire/584-644 de l'ère chrétienne), et non pas au commandant des armées musulmanes établi alors à Damas, Abu 'Ubayda ibn al-Jarrah (40 avant l'hégire- 18 de l'hégire/584-639 de l'ère chrétienne). Aussi Omar se dépêcha-t-il

de quitter Médine pour se rendre à Al-Qods et recevoir lesdites clés. C'est ainsi que les musulmans ont permis à ce noble sanctuaire d'Al-Qods de jouir d'une position singulière dont aucune autre ville conquise par les musulmans n'avait connu auparavant.

Les musulmans ont, non seulement généralisé le caractère sacré d'Al-Qods uniquement parmi les adeptes des religions révelées mais, en reconnaissance et foi dans tous les prophètes et leurs messages, ils ont également respecté ce qui était sacré pour les autres… Le Prophète des musulmans (PSL) leur a appris non seulement de *"reconnaitre"* et *"d'adopter"* tout ce qui est sacré pour les autres, mais aussi de le *"protéger"*. N'est-ce pas lui (PSL) qui a écrit aux chrétiens en l'an 10 de l'hégire/631 de l'ère chrétienne, un *"Document constitutionnel"* où il affirme : ***«Je les défendrai et protégerai leurs églises, monastères et édifices religieux, les demeures des moines et des voyageurs, où qu'ils soient ; je préserverai leur religion où qu'ils soient, tout comme je préserverai ma personne, ma famille et les musulmans de ma religion»***.

Ainsi lorsque Omar ibn al-Khattab qui s'est excusé auprès du Patriarche Safrinius pour n'avoir pas accompli la prière dans l'église, d'abord par respect pour l'Eglise du Saint-Sépulcre puis pour que cette prière ne suscite pas de soupçons sur un quelconque droit islamique qu'il pouvait avoir sur le lieu où la prière fut accomplie, cette décision n'émanait pas de la seule *"tolérance éclatante"* que l'on accorde ou refuse, mais bien d'une conviction islamique envers les lieux sacrés des autres.

Les musulmans, se fondant sur le statut sacré que la religion islamique accordé à la ville d'Al-Qods, étaient soucieux de rendre à tous les endroits où Allah fut adoré leur pureté d'antan, tant à Al-Qods qu'en Palestine. Omar ibn al-Khattab se rendit compte, en se promenant à travers tous les coins et recoins de la ville, que les Romains, qui détruisaient les temples des autres, firent des lieux de prières des décharges et des dépotoirs ! Le Commandeur des Croyants Omar accompagnés et les Compagnons du Prophète (PSL) étendaient alors leurs tuniques pour y poser les ordures et nettoyer les lieux où Allah fut jadis adoré dans cette ville et ce pays, afin de leur rendre leur pureté originelle.

Ce sont les musulmans qui ont rétabli les juifs dans la ville d'où ils y étaient chassés, quand bien même les chrétiens ont demandé à Omar ibn al-Khattab qu'aucun juif ou voleur n'y soit introduit…! Mais la religion islamique, très préoccupée par le caractère sacré d'Al-Qods parmi tous les adeptes des religions révelées, n'en avait cure de ces rivalités partisanes.

Et comme les musulmans se singularisaient par leur reconnaissance des procédures cultuelles des autres religions, les différentes sectes chrétiennes d'Al-Qods qui rivalisaient sur les lieux saints chrétiens trouvèrent dans les musulmans le juge neutre et juste qui arbitrerait entre elles. C'est ainsi qu'elles ont stipulé dans leurs textes relatifs aux biens de mainmorte des églises et à la conservation des clés de ces églises que les gardiens de ces biens et les détenteurs de ces clés soient des familles musulmanes. Ces textes stipulaient également que la garde des biens et la détention des clés se poursuivront à titre héréditaire, évitant ainsi les rivalités et les conflits qui ont, historiquement, caractérisé les relations entre ces différentes sectes, et ce jusqu'à ce jour, comme c'est le cas pour le monastère *"Deir al-Sultan"*.

Ce statut sacré de la ville d'Al-Qods s'inscrit comme un article de foi dans la religion musulmane, et n'est donc pas une forme de *"tolérance"* qu'un gouverneur peut accorder ou rejeter. Et ce statut dédié à la ville d'Al-Qods Al-Charif a perduré tout au long de l'histoire islamique.

Mais si les Musulmans répandaient le caractère sacré de la ville sainte parmi tous les adeptes des religions révélées, les Croisés l'exploitèrent en faveur de leur seule doctrine latine, mais aussi pour transformer la Mosquée Al-Aqsa en une écurie pour leurs chevaux… ainsi qu'un dépôt d'armes et une église romaine ! …Alors que les Musulmans n'avaient de cesse de traiter le Saint Sanctuaire de lieu où les batailles et l'effusion du sang étaient prohibées… jusqu'à sa libération par Salah al-Dîn al-Ayyoubi (Saladin) (532-589H/1137-1193) de la domination des Croisées qui a duré quelque 90 ans. Et tout comme le Prophète (PSL) qui, le jour de la conquête de la Mecque en l'an 8H/629 de l'ère chrétienne entre dans la ville prosterné devant Dieu du haut de sa monture, spectacle sans précédent dans l'histoire, de même Salah al-Dîn s'agenouilla-t-il sur le sol d'Al-Qods au moment de sa libération des Croisés, en signe de paix et de réconciliation. Et encore, tout comme le Prophète (PSL) qui ne rendit pas la violence de la population de la Mecque par la violence parce que la Mecque est un sanctuaire, de même Salah al-Dîn réprima-t-il sa colère et se refusa à faire d'Al-Qods ce qu'en firent les Croisées lors de son invasion en 493H/1099 de l'ère chrétienne, tuant, brulant et massacrant 70.000 de ses habitants entre musulmans et juifs ! Les Croisés n'eurent même pas pitié de ceux qui se réfugièrent à la Mosquée d'Omar (la Mosquée du Dôme du Rocher), les égorgeant à l'intérieur de la mosquée, jusqu'à ce que *"le sang des victimes se transforme en vagues inondant les chevaux des cavaliers Francs jusqu'au mors"* ainsi que le notent des témoins parmi les historiens chrétiens !

Salah al-Dîn n'a, quant à lui, rien fait de ce qu'ont fait les Croisées, et les Romains avant eux, car sa religion islamique et sa conscience religieuse envers la ville d'Al-Qods et son saint Sanctuaire le lui interdisaient.

Ce que les Croisés ont fait, et les Romains avant eux, les colonisateurs anglais l'ont refait en 1917 lors de la prise d'Al-Qods par le Général Allenby (1861-1936) qui estimait, ce faisant, que sa conquête mettait fin aux guerres des Croisades !

Or c'est ce qu'ont perpétré les sionistes en 1967 en envahissant Al-Qods dans l'intention de la judaïser et réitérer sur ce sol béni ce *"chapitre sanglant et désespéré"* sa mainmise sur la ville sainte, profanant et détruisant les lieux saints non hébraïques et tout ce qui a trait à la présence arabe dans la ville, quand bien même cette présence est enracinée dans l'histoire depuis plus de soixante siècles, précédant la présence juive de plus de quarante-sept siècles !

Mais n'ont-ils pas réaffirmé -involontairement- par leur action la singularité de la position de l'Islam vis-à-vis de cette ville sainte qui a décrété le caractère sacré du sanctuaire en prohibant les combats et l'effusion du sang, ainsi que la généralisation de ce caractère parmi tous les détenteurs de lieux sacrés dans la ville. La garantie de la pérennité d'Al-Qods, en tant que sanctuaire et lieu serein et pacifique pour tous, passe par son islamité dans le cadre de l'autorité arabo-islamique, seule entité à même de préserver cet héritage universel. C'est ainsi qu'a survécu l'arabité d'Al-Qods qui s'est imposée comme une réalité obstinée et infrangible ancrée dans l'Histoire. Telle fut aussi l'islamité d'Al-Qods, ainsi qu'en témoigne cette même Histoire, réaffirmée par la conviction religieuse islamique qui met tout en œuvre pour préserver cet héritage sacré pour tous les adeptes des religions révélées. Dans l'épître adressée au roi des Croisées, Richard Cœur de Lion (1157-1199), Salah al-Dîn souligne cette vérité lorsqu'il écrit :

«Al-Qods est tout aussi bien notre héritage que le vôtre… c'est d'Al-Qods que notre Prophète monta au ciel… c'est à Al-Qods que se rassemblent les anges… Eloignez donc de vos pensées l'idée que nous puissions, en tant qu'Oumma islamique, l'abandonner».

«Quant à votre occupation du territoire, celle-ci ne sera que fortuite puisqu'elle survient à un moment où les musulmans vivant dans le pays étaient alors faibles».

«Or, tant que le djihad se poursuivra, jamais vous n'aurez l'occasion d'y poser une seule pierre».

Al-Qods est une ville arabe islamique immémoriale. Son histoire a vécu des péripéties et des circonstances qui en ont fait le *"symbole de la lutte"* entre le bien et le mal… mais aussi la *"porte du triomphe"* dans ce long combat historique.

Le Prophète (PSL), n'avait-il pas raison de dire : «Il en est encore au sein de ma Oumma des gens purs, en mesure de défaire leurs ennemis, et qui se résignent à ce que leur Créateur leur fait subir de malheur et d'infortune, et ce jusqu'à ce qu'Allah en décide autrement».

Ils demandèrent : *"O Envoyé de Dieu, et où sont-ils ?"*

Il répondit : «A Bayt al-Maqdis et dans ses environs» (rapporté par l'Imam Ahmad).

Il convient, à ce stade, de laisser parler les chiffres, puisque la *"langue des chiffres"* est la langue mondiale par excellence et que celle-ci se passe de tout commentaire ou de représentation figurative. Or, ce que disent les chiffres démontre que ce qui se déroule actuellement sur la terre d'Al-Qods et de Palestine est le dernier et ultime maillon de la *"colonisation"* implantée de force au cœur de la nation arabe et de l'Islam.

C'est avec Bonaparte (1769-1821) que s'amorça l'appel impérialiste de ce colonisation lors de sa campagne d'Egypte et du Levant. Cet appel, lancé en 1799 des murailles d'Acre en commémoration du septième centenaire de l'occupation d'Al-Qods par les Croisées en 1099 de l'ère chrétienne, était adressé aux minorités juives les invitant à adhérer à son projet impérialiste colonialiste visant leur *"implantation"* sur la terre palestinienne.

Puis ce fut le colonialiste anglais qui arbora l'étendard de cette colonisation -après la défaite de Bonaparte- dans une tentative destinée à contrer le projet égyptien de Mohamed Ali Pacha (1184-1265H/1770-1849) visant à revivifier et unifier la jeunesse orientale -après la déchéance de l'Etat ottoman. Le ministre britannique des affaires étrangères, Palmerston (1784-1865), écrivit le 11 août 1840 à son ambassadeur à Istanbul lui demandant de convaincre le sultan ottoman d'autoriser l'implantation des juifs en Palestine et constituer, ce faisant, une pierre d'achoppement aux ambitions de Mohamed Ali Pacha et ses successeurs.

Mohamed Ali Pacha refusa, en 1839, de louer un certain nombre de villages palestiniens au millionnaire juif anglais Haïm Montefiore (1784-1885), projet prévu pour devenir la première étape de la colonisation juive implantée en Palestine. Ce projet de colonisation fut finalement concrétisé en 1845 après l'alliance de l'Europe colonialiste contre Mohamed Ali Pacha et l'exclusion de l'armée égyptienne de Palestine et de Syrie, en vertu des accords de Londres de 1840 et 1841.

L'année 1897 fut le témoin de la création du mouvement sioniste moderne au cours de la première conférence sioniste tenue en Suisse. C'est ensuite

l'agence juive qui prit la direction des activités d'implantation des colonies sur le sol palestinien.

Puis, vint l'engagement de Balfour du 2 novembre 1917 et l'occupation de la Palestine par les Anglais la même année, mandat pendant lequel la cadence d'implantation des colonies juives s'accéléra en Palestine.

Mais, en dépit de toute cette effervescence colonialiste et sioniste pour implanter les colonies juives en terre palestinienne, la réalité des chiffres atteste, tant pour nous que pour le reste du monde, que les Ottomans s'appliquèrent à préserver le caractère arabe de la population palestinienne et du sol palestinien. En effet, en 1918 le nombre de juifs en Palestine ne dépassait pas 55.000 habitants, soit 8% du nombre total de la population, lesquels ne détenaient, en tout et pour tout, qu'un demi-million de dunums (1 dunum = 0,1 hectare), soit 2% de la terre palestinienne.

En 1948, soit 30 ans après les tentatives britanniques et du mouvement sioniste d'étendre l'implantation des colonies, la présence juive se limitait à 646.000 habitants, soit 21% de la population palestinienne, leurs propriétés foncières ne dépassant pas 1.800.000 dunums, soit 6% de la terre palestinienne.

Puis, ce fut le plan de partage, décidé en novembre 1947 par les puissances coloniales alliées aux sionistes, qui imposait la généralisation du colonialisme des colonies juives implantées. En vertu de ce plan, les détenteurs de seulement 6,7% du territoire se voyaient attribués 54% du sol palestinien, alors que la part des propriétaires initiaux, qui était de 92,2%, chutait à 45% du territoire !

Les événements subséquents et les guerres successives ont tôt fait d'engloutir la grande majorité de la terre palestinienne restante.

En 1948, Israël a détruit 538 villages palestiniens pour en occuper les terres.

De même qu'elle s'est emparée des terres du Waqf caritatif palestinien (biens de mainmorte) ainsi que des propriétés domaniales. Après l'agression de 1967, la colonisation finit par dévorer l'ensemble de la Palestine.

A Gaza, par exemple, la ligne frontalière sur le côté palestinien - zone tampon - a été étendue de 24% de la superficie de la Bande ! … sans compter les 275 dunums détruits en décembre 2007.

La Cisjordanie, quant à elle, a été divisée en quatre parties, à savoir : (1) Al-Qods ; (2) la Cisjordanie occidentale ; (3) la Vallée du Jourdain ; (4) Al-Khalil Sud, et ce dans une tentative visant à les couper les unes des autres par les colonies.

Puis, ce fut la construction du mur de séparation raciste, destinée à protéger les colonies mais qui s'applique à grignoter les terres palestiniennes. 450 kilomètres ont été installés, et il ne reste que 80 autres à construire, en dépit de la résolution de la Cour internationale de Justice invalidant la décision israélienne de construction, considérée comme un crime de guerre qui altère la nature de la terre occupée.

Au cours de la deuxième *Intifada* qui dura du 8 février 2000 jusqu'au 21 janvier 2006, 80.712 dunums de terres ont été détruits.

Par ailleurs, 85% des eaux de la Cisjordanie ont été détournées, de sorte que le Palestinien ne disposait que de 60 litres, contre 280 litres pour le colon juif.

En 2007, 24.650 arbres palestiniens ont été arrachés ou brulés.

Quant à Al-Qods, la ville construite par les Arabes Jébuséens soixante siècles auparavant, elle a été submergée par les colonies. Elle est en voie de judaïsation, de monopolisation, avec le risque que ses caractéristiques sacrées soient à jamais oblitérées !

Le 14 février 2004, le président américain Bush remit à Sharon la *"Lettre de garantie américaine"* dans laquelle *"l'Amérique s'engage de maintenir inchangée la réalité sur le terrain lors des négociations finales"*… c'est-à-dire maintenir implantées les colonies qui ont dévoré Al-Qods et la Palestine.

Telles sont les réalités historiques - anciennes, contemporaines et modernes - d'Al-Qods Al-Charif et de la Palestine.

Cette prise de conscience historique constitue une puissante arme dans la création de l'histoire. Car cette prise de conscience -qui ne doit pas se contenter d'une simple lecture à travers les pages de l'histoire- relative au statut d'Al-Qods tant dans l'histoire arabo-musulmane que dans la religion islamique, est en soi un motif qui mobilise les compétences et les énergies. Elle sert aussi à ressusciter la mémoire à l'égard du droit spolié… jusqu'à ce que vienne le jour où la Oumma retrouve la *"volonté"* et la *"direction"* qui lui permettront de retrouver ce droit qui lui fut dérobé.